المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام
The International Conference on Mercy in Islam
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية

معالم رحمة النبي ﷺ
في الحرب
دراسة مقارنة مع الحروب المعاصرة

إعداد:
د. محمد علي أحمد الأعمر
جامعة المجمعة
كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية

تمهيد

الحمد لله الرحمن الرحيم، الرؤوف الحليم، الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغُرِّ المَيَامين، الرُّحمَاء الحُلَماء الطيبين، ومن سار على سبيلهم، واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

الرسالة المحمدية كانت ولا تزال وستظل -بإذن الله- إلى أن يرث سبحانه الأرضَ ومَن عليها- رحمة للعالمين، نزلت لتنقذهم من الشرك والضلالات، وأتون الحروب والصراعات، وضياع الأخلاق، وشقاء القلوب والأرواح والأبدان البائسات، إلى نور التوحيد، واطمئنان القلوب، وإسعاد النفوس، وعزِّ الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الرسالة بهذا الوسم؛ فلا شك أن صاحبها كذلك، موسوم بالرحمة في أعلى صورها، وأكمل ما يكون عليه بشرٌ خُلِق واختير لهذه المهمة الجليلة، والغاية النبيلة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] فبلغ ﷺ في رحمته المنزل المنيف، الذي لا يدانيه فيه بشر، كما بلغ ذلك في سائر أخلاقه.

هذا مع أن الله تعالى أرسله على حين فترة من الرسل، في زمن كان العالم يعاني فيه أزمةً ظاهرة في القيم، وأبرزها قيمة الرحمة؛ وكاد هذا الخُلق أن يكون معدومًا وقتها، وكانت الحروب مشتعلة بين الشعوب والقبائل لأتفه الأسباب، بل من دون أسباب أصلًا، حربًا مدمرة طاحنة وفيها من الويلات الكثير والكثير، بلا قيم ولا أخلاق، في هذه الأجواء التي تفتقد الرحمة بكل معانيها ومظاهرها- أرسل الله تعالى نبيه؛ ليكون رحمة للعالمين، وليضع أسسًا للتعامل تكون فيها الرحمة غالبة للخصومة، ويكون فيها العدل مضبوطًا بالرحمة، بل تكون فيها الحربُ نفسُها قائمة على الرحمة.

إن كراهيتنا للحرب الشرسة المعاصرة -ذات الدوافع الدنيوية التي يقودها أعداء الإسلام اليوم- بصورتها، وأخبارها، وآثارها، والمناظر المصاحبة لها، من دماء وأشلاء، حتى أصبح يُخيل لنا أن البشرية فقدت صوابها، ولم تعد تدري لماذا القاتل يقتل، ولمَ المقتول قتل، ولا لمَ الظالم ظلم، ولا كيف المظلوم انتقم؛ لهي من أهم الأسباب التي دفعتنا للحديث عن الأخلاق، وبخاصة خلق الرحمة في الحروب، لتذكر البشرية التائهة، أن ثمة خلقًا في الأرض يسمى الرحمة، قد يغني في مواطن كثيرة عن الحرب، والكراهية، ولتعلم البشرية أيضًا أن ثمة شخصًا تمثلت الرحمة في سيرته كلها، وكانت السلاح الذي حارب به خصومه، في مواطن عدة، حين حاربوه بالقوة والقسوة، والوسيلة التي جذب فيها كثيرًا من الناس إلى دعوته، ونجح في نشر ثقافة الرحمة بين الناس حتى في الحرب.

لذا ارتأيت أن أكتب بحثًا في هذا المجال العلمي أبين فيه أخلاق النبي ﷺ ورحمته في تعامله مع غير المسلمين في الحرب وبعدها، من خلاله أشارك في المؤتمر الدولي «عن الرحمة في الإسلام»،

فأسميت بحثي:

(معالم رحمة النبي ﷺ في الحرب - دراسة مقارنة مع الحروب المعاصرة)

أهداف البحث:

- الوقوف على قواعد الحرب وضوابطها في الإسلام ومقارنتها بالحروب المعاصرة.
- إبراز المعاني والمقاصد السامية لرحمة الإسلام في معاملة العدو في الحرب.
- رصد التطبيقات العملية للرحمة في حروب النبي ﷺ.
- التعرف على جوانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ.
- إبراز العنصر الأخلاقي الذي امتثله النبي ﷺ في الحرب.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع ما استطعت من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية المتعلقة بهذا الموضوع ودراستها دراسة تحليلية من خلال كتب التفسير والحديث والمغازي والسير، ومن ثم استخلاص جوانب الرحمة والتطبيقات العملية للحرب الرحيمة في سيرة المصطفى ﷺ.

خطة البحث:

يتألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث:

المقدمة: وفيها تعريف الرحمة، وأهميتها، وبيان منزلة رحمته ﷺ.

المطلب الأول: تعريف الرحمة.

المطلب الثاني: أهمية الرحمة.

المطلب الثالث: بيان منزلة رحمة النبي ﷺ.

المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ وحرصه في تجنب الحرب.

المطلب الأول: دوافع حروب الرسول ﷺ

المطلب الثاني: حرص النبي ﷺ على حقن الدماء.

المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ في غير المحاربين (المدنيين)، والمستكرهين على الحرب والبيئة.

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ في المدنيين.

المطلب الثاني: رحمة النبي ﷺ في المستكرهين على الحرب.

المطلب الثالث: رحمة النبي ﷺ بالبيئة وعدم الفساد في الأرض.

المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ في الأسرى.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المقدمة

وفيها تعريف الرحمة، وأهميتها، وبيان منزلة رحمته ﷺ.

المطلب الأول
تعريف الرحمة

الرحمة في اللغة: تدل هذه الكلمة على معاني الرّقة والعطف والرأفة والمغفرة والإحسان[١].

ومعناها لا يدل على أنها انفعالات مجردة ومشاعر نفسية، لا أثر لها في العالم الخارجي، بل هي كما يقول الراغب الأصفهاني: «رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم»[٢]، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة»[٣]، فالرحمة -إذن- هي من الكيفيات النفسية والانفعالات، ولكن لها عند المتصف بها أفعالاً وجودية، وآثارا خارجية من الرفق بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضر عنه وإعانته على المشاق[٤].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٧٣/٥، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٤٩٨/٢)، انظر: الصحاح، الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. (٥/ ١٩٢٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ص ١٩٤

(٣) المرجع السابق

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية ١٩٨٤، (١٦٩/١).

فالرحمة ليست مجرد كلمة أو شعور ينتاب المرء، وإنما هي سلوك، وواقع له مظاهره.

ومقتضى الرحمة بين الخلق: الانتصار للمظلوم، والأخذ على يد الظالم، ونشر العدل والتراحم بين الناس، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم.

المطلب الثاني
أهمية الرحمة

الرحمة في كمالها المُطلق- صفةٌ للرَّحمن الرَّحيم، تباركت أسماؤه؛ فإن رحمته تعالى شَملت الكون كله علويه وسفليه؛ ولذلك كان من تسبيح الملائكة واستغفارهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

فهي صفة الخالق سبحانه؛ قال ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(١).

ومن أسمائه تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾[الفاتحة:١] وقال سبحانه عن نفسه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر:٤٩] وصفة رسوله ﷺ فهو رؤوف رحيم، وصفة أصحابه فهم رحماء بينهم، وصفة أمته فهي أمة مرحومة متراحمة، وصفة شريعته؛ فأينما وُجِدت المصلحةُ فثَمَّ شرعُ الله، وهذا منتهى الرحمة.

فرسالته ﷺ كلها رحمة، إذ هي تُمَثِّل سبيل الرشاد للتي هي أقوم، وتعاليمها وقيمها وأحكامها هي طوق النجاة، وسبيل التحرر من عبودية العباد والحجر والشجر إلى عبادة الله وحده رب العالمين.

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات]: ١٧١ (٧٤٥٣)..

وهي كذلك رحمة في مقاصدها، وتطبيقاتها، ووسائلها، وغاياتها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

يقول الطاهر بن عاشور: «وحكمة تمييز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها، لأن تُسَاس بالرحمة، وأن تُدفعَ عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية، لا تقام المصالح بدونها، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة، وما في شريعة الإسلام من تمحض الرحمة- لم يجر في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها، والأمة المتبعة لها بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم.

فأقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وكذلك الرحمةُ صفة الأمة المرحومة التي وصفها نبيُّها بمثل قوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

قال السعدي: «يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار: أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذَلَّ أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه»(٢)

(١) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم(٢٥٨٦).
(٢) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر

المطلب الثالث
بيان منزلة رحمته ﷺ

الرحمةُ كذلك صفة الرسول الأعظم ﷺ التي لا تنفك عنه أبدًا، لا في سِلمه ولا في حربه، ولا في حَضره ولا في سفره.

وقد سماه ربُّه رؤوفًا رَحيمًا؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رؤوفا رَحِيمًا»[1].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨] قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلَّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ- سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدَّها وجَحَدَها خَسِر في الدنيا والآخرة»[2].

وذكر القرطبيُّ عن الحسين بن الفضل قوله: «لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ؛ فإنه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥] وقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء: ١٠٧] يقول الشنقيطيُّ عند تفسيره لهذه الآية: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النَّبي الكريم صلوات

السعدي،تحقيق: عبدالرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م (ص ٧٩٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ (٢٣٥٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٣٨٥).

الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم؛ لأنه جاءهم بما يُسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى»[1].

ولقد تجلَّت مظاهر رحمته ﷺ في حياته كلها، وحفلت بها سيرتُه العَطِرة، وامتلأت بها شريعتُه المُشرَّفة، فرحم ﷺ كلَّ صغير وكبير، وقريب وبعيد، وامرأة وضعيف، بل شملت رحمته من حاربوه، وجاء بشريعة كلها خير ورحمة للإنسانية، وما من سبيل يُوصِّل إلى رحمة الله تعالى إلا بينه للناس، وحضَّهم على التزامه، وما من طريق تبعدهم عن رحمة الله تعالى إلا حذرهم منها؛ رحمة بهم، وشفقة عليهم؛ حتى كادت نفسُه من حرصه الشديد على هدايتهم أن تهلك؛ فعَاتَبَه ربُّه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء:٣] وكرَّم نبيُّ الرحمة ﷺ الإنسانَ، ورفع شأنه؛ لأن الله كرَّمه وفضَّله، وأنزل الناس منازلهم، وخاطب كل قوم بلسانهم، فكان لكل صنف من الناس حظٌّ من خطاب رسول الله ﷺ ومعاملته ورحمته؛ فوقَّر الكبير، ورحم الصغير، وكان في كل موقف تقتضيه الرحمة يرحم، فرحم في حربه وسلمه، رحم الأسير وعامله بالرفق واللين.

تعّد رحمة النبي ﷺ بُعدًا مهمًا في شخصيته، وفي دعوته، ومن صميم شخصيته رسولًا ونبيًا ومبلغًا عن ربه وهاديًا للناس. وحينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء] ونقف أمام الآية ندرك سعة رحمة هذا النبي الكريم، وكيف كان ﷺ يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله. وإنه لتناسب وتآلف في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول في هذه الرحمة، حتى لا يُتصور أن يحمل عبء

(١) انظر: أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، (٤/ ٢٥٠، ٢٥١).

بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلا رسول رحيم ذو رحمة عامة شاملة فياضة طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته، فهو مثل أعلى للرحمة الإلهية لذلك وصفه الله تعالى بأنه رؤوف رحيم.

لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين. رحمة شاملة للوجود بأجمعه. يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة التي كان يمثلها النبي ﷺ ذلك لأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضًا -إلى جانب المؤمنين- الاستفادة من هذه الرحمة كذلك. فعندما قيل له: ادع على المشركين قال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا؛ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[1].

وكان لا يقرُّ الظلم ولا يرضى به، ويحذر منه الناس بمثل قوله: «إن الله يُعذِّب الذين يُعذِّبون الناسَ في الدنيا»[2]؛ هكذا بإطلاق «الناس» أي: كل الناس، فلا ظُلْم لأحدٍ عدو أو صديق، في سلم أو حرب، وهذا المبدأ طبقه النبي صلى الله عليه بحذافيره في حروبه.

كانت رحمة النبي ﷺ قبل غضبه، بل إنه في الحرب كان يقاتل بشجاعة، ولكنه أيضًا كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسيًا، ولكنه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير، بينما كان المشركون جادّين في حملتهم لقتله كان أكثر رحمة بهم، وكان يدعو: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». فهل يوجد أرحم من محمد ﷺ في مثل هذه اللحظات[3].

إن خصائص الرسول والرسالة تدل على أن رسالته الخاتمة وأنه خاتم الأنبياء، لقد بعث الله تعالى محمدًا ﷺ، برسالته للناس جميعًا، مما يبين

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها(٢٥٩٩).
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق(٢٦١٣).
(٣) معالم رحمة النبي ﷺ، عراقي محمود حامد، رابط: http://www.alukah.net/publications_competitions/0/41500/#ixzz3kzz5D7xq.

لنا أنه النبي الخاتم، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ:٢٨] وهذا يقتضي عموم رسالته للناس كافة، ولأنَّ رسالته عامة للناس جميعًا فلا نبي بعده، فهو خاتم الأنبياء، لذا جعله الله -تعالى- رحمة للعالمين مؤمنهم وكافرهم.

المبحث الأول
رحمة النبي ﷺ وحرصه في تجنب الحرب

مما لا شك فيه أن الرسول ﷺ إنما جاء رحمة للبشرية، وإنقاذًا لها من براثن الغواية والضلال، وإخراجًا لها من الظلمات إلى النور، وحتى يصل بالبشر جميعًا إلى أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية في كل تعاملاتهم في الحياة، وقد صرَّح ﷺ بهذا الأمر حين قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

ومن المعلوم أن العالَمَ عامةً والعرب خاصة في زمن نشأة النبي ﷺ، وقبل بعثته قد ذاق من ويلاتِ الحروب الكثير والكثير، وكانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها لأتفه الأسباب، بل من دون أسباب أصلًا.

وقد جاء الإسلام العظيم لينتزع الناس من هذه الحياة بالغة السوء، ولينقلهم نقلة هائلة إلى حيث الأمن والأمان والهدوء والسكينة، ومن ثَمَّ كان الرسول ﷺ أحرص ما يكون على إبعاد الناس تمامًا عن الحروب، وعن كل ما يؤدي إليها، انطلاقًا من الرسالة السامية التي جاء بها من عند الله عز وجل نورًا وهدايةً وأمنًا ورحمةً للإنسانية كلها[2].

(١) مستدرك الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه،(٤٢٢١)، السنن الكبرى، البيهقي عن أبي هريرة وفيه «صالح» بدل «مكارم» (٢٠٥٧١) وصححه الشيخ الألباني ڤ، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) انظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، راغب حنفي السرجاني، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م، ص٢٥٥.

المطلب الأول
دوافع حروب الرسول ﷺ

إن الإسلام يسالم من سالمه قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]، ولا يقاتل إلا من قاتله، أو منع دعوته.

فالحرب في الإسلام لا تهدف إلى إجبار الناس وقهرهم للدخول فيه، ولم يكن ذلك أبدًا، لأنه يتعارض بشكل صريح مع المبدأ القرآني في عدم الإكراه في الدين، وإنما «جاهد» الإسلام ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وجاهد الإسلام لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة- فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وجاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين. ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة، كما جاء من عند الله للناس كافة، وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى الإسلام إذا أرادوا. ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين؛ لذلك فإن الجهاد موجه إلى هذه الطائفة التي تحارب الناس في حرياتهم وتلجم ألسنتهم وتحجر على عقولهم، وحين لا تجدي الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مع هؤلاء فإن آخر العلاج الكي، وإن هذه القلوب القاسية والعقول المتحجرة والنفوس الأمارة لا يصلحها إلا السيف[1].

يقول الأستاذ العقاد: (إن الإسلام إنما يعاب عليه، أن يحارب بالسيف،

(١) انظر: الرحمة في القرآن الكريم، محمد عبدالكريم الحايك ص١٠٦، رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م،.

فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان، والإقناع، ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف سلطة تقف في طريقه، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه، لأن السلطة لا تزال إلاَّ بالسلطة، ولا غنى في إخضاعها عن القوة)[1].

فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية، وليقيم مكانها نظامًا عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان، وجاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الصالح الرفيع؛ ليمتع البشرية كلها بالخير الذي جاء به، وبالرحمة التي حملها. وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي رحيم، تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام، وتصان فيه حرمات كل أحد، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أيًا كانت عقيدته ولا يكره فيه أحد اعتناق عقيدة الإسلام[2].

قال ابن القيم: (ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيمًا على هدنته لم ينقض عهده بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له... ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال، قاتلهم فمنّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم، وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله، ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق

(١) انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي بيروت ٢/٤٥.
(٢) انظر: السلام العالمي والإسلام ص١٤-٣٤،٦٧-٧٧.

ويوم بدر أيضًا هم جاءوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم)[1].

فليس الإسلام وحده هو المانع من القتل، وليس الكفر وحده هو الموجب له، وهذا ما قرّره فقهاء المالكية والحنفية والحنابلة، أن مناط القتال هو الحرابة والمقاتلة والاعتداء وليس الكفر؛ فلا يُقتل شخصٌ لمجرّد مخالفته للإسلام، إنما يُقتل لاعتدائه على الإسلام، وغير المقاتل لا يجوز قتاله، وإنما يُلتزم معه جانب السلم[2].

ولا ننسى أن نذكر هنا أن الحرب مظهر من أهم مظاهر القوة، ولم يزل القوي مسموع الكلمة، نافذ الرأي، مرهوب الجانب، ولم يزل منطق القوة هو المسيطر في علاقات الدول والجماعات والأفراد، وأما الضعيف فلا يكاد يسمع قوله، ولا يؤبه له في الواقع، وإن كان الحق والعدل في جانبه، ولن يستطيع حماية مصالحه وحقوقه المشروعة إن بقي على ضعفه[3]، وقد جاءت مشروعية الجهاد في الإسلام لحماية المصالح الدينية والدنيوية للمسلمين، وعلى اعتبار أنه وسيلة تحمى به الحقوق والمصالح، لا لكونه غاية في حد ذاته، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

وجاء في الحديث الصحيح ما يدل على أنه يكره للمسلم تمني لقاء العدو للقتال: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»[4].

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية ص(١٢).
(٢) المدونة الكبرى، الإمام مالك بن أنس: ٦/٣؛ فتح القدير، الشوكاني ٢٩١/٤.
(٣) العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، وهبة الزحيلي، دار المكتبي للطباعة والنشر - سوريا (ص ٥).
(٤) البخاري، كتاب الجهاد، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، (٢٨٩٤)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب كراهية تمني لقاء العدو، (١٧٤٢).

ولسنا نعني بحتمية الحروب أننا نشتهيها أو نترقّب حدوثها، بل نحن على العكس من ذلك، فنحن المسلمين لا نجعل الحرب إلاّ آخر القرارات، ونهاية الحلول، ولا نسعى إليها إلا لردِّ حقٍّ، أو دفعِ شرٍّ، أو تأمينِ حياة.

ومن شاء أن يدرس طبيعة الحروب الإسلامية؛ فليدرس طبيعة الإسلام ذاته حتى لا يُطبّق على هذه الحروب مقاييس غيرها من حروب التوسّع والعدوان[1]. التي مارسها القادة والزعماء أمثال الإسكندر المقدوني، وهولاكو، ونابليون، وهتلر،...وغيرهم الذين كانوا يدخلون الحرب بدوافع دنيوية بحتة، كالشهرة والتشفي والهوى، والمصالح العامة والخاصة، التي جعلت هؤلاء القادة يدخلون أرضًا ليست أرضهم، ويقاتلون أناسًا أبرياء، ليسوا خصمًا لهم، وكانت النتيجة قتل مئات الألوف، وتدمير مئات المدن، والمحصلة النهائية مزيد من القتل والدمار وعدم الاستقرار.

إن مقولة علماء الأخلاق (إن الأخلاقية تعني فن السيطرة على الأهواء)، تتحقق بجلاء في الفلسفة القتالية لدى النبي ﷺ، فأين هو من هؤلاء القادة، الذين عرفتهم البشرية، وما أكثرهم في الحروب اللاأخلاقية المعاصرة[2].

هذه حقيقة الإسلام،على عكس ما يروج له، ففي أشد لحظات قوته كان دينا ملزما أتباعه بآداب حضارية، وبأخلاق إنسانية لم تعرف لها البشرية مثيلا إلى الآن. نعم لم تعرف لها البشرية مثيلا وواقعنا وتاريخنا شاهد على ذلك، فالحروب الصليبية جاءت إلينا من قوم اتهمونا زورا وبهتانا بالإرهاب وعدم التعايش، فكان السفك منهم والغدر والظلم ما دونوه هم لا نحن، بدون ذنب جناه المسلمون، أو جريمة ارتكبها الإسلام أو

(١) أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، الدكتور عبداللطيف عامر: ص٤٦،٤٥..
(٢) انظر: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ الدكتورة سارة آدم، الدكتور زيد عمر العيص، ص٩١.

أحد باسمه، وإنما هو الغدر الغاشم، والحقد الأليم، والتعصب الأعمى، والمغالطات التي تقلب الحق باطلا، وتجعل الذَّنَب رأسا، والرأس عقبا.

وفي العصر الحديث، كان التطهير العرقي للإسلام والمسلمين في أوربا، ولا أدل على ذلك مما حدث في البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وألبانيا، وغيرها. وفي الوقت الحاضر، جاءوا أيضا بأسباب كاذبة مضللة اعترفوا بها لاحقًا، منتهكين القوانين الدولية التي وضعوها بأنفسهم، فكان التدمير للأخضر واليابس في أفغانستان، والعراق، ولبنان، وفي كل بلد نرى قتالهم فيه من الانتهاك ما فيه، والتدمير والتعذيب، والاغتصاب، وسلب الحريات، وقتل المدنيين...

المطلب الثاني
حرص النبي ﷺ على حقن الدماء

من نظر إلى طبيعة أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام وطبيعة حروبهم، يرى أن شهوة القتل في الحروب إفراز طبيعي لتلك البيئة القاسية التي كانوا يعايشونها، فحر الصحراء وجذب الحياة وشظف العيش قد ألقى بظلاله على نفوسهم، التي ورثت قسوتها من قسوة الطبيعة حولهم، وهذه القسوة كانت تترجم أحيانًا بشكل همجي في الحروب.

وفي ظل هذه البيئة القاسية أشرق نور الرسالة المحمدية، وكان لابد من وأد ترسبات البيئة القاسية من نفوس الأتباع وتوجيه سلوكهم، نحو أخلاقيات الرسالة القائمة على الرحمة والسماحة والصبر والعفو، وتثبيط كل النوازع الغضبية من النفس، لذا كانت السنوات الأولى للرسالة في العهد المكي بمثابة مدرسة عملية للأتباع نحو التحلي بتلك الفضائل، وفي

العهد المدني حيث الحروب والمواجهة العسكرية كانت التوجيهات النبوية في أثنائها تهتم بحسم مادة التشفي أو الميل للقتل أو التسرع فيه، وذلك من خلال تثبيط تلك الموروثات التي ورثوها من طبيعة المجتمع وثقافته الدموية، لذا حرص النبي ﷺ في كل غزواته على التأكيد على مبدأ العفو من جهة، ومن جهة أخرى كانت تعاليمه تؤكد على تخفيف ثائرة النفوس نحو التشفي أو الميل للقتل، بل نراه حريصًا على نشر ثقافة الرحمة بين الصحابة وتثبيط شهوة التسرع في القتل أو الحرص على إيقاعه، أو الإقدام عليه، وهذا يفسر قلة القتلى في حروبه مقارنة بالإنجازات التي حققها من خلالها[1]، ويمكن ملاحظة هذا المنهج من خلال ما يلي:

أولًا: تربية الجند على عدم التسرع في القتل

كان النبي ﷺ يتعامل بحساسية شديدة مع مسألة سفك الدم، أو حتى التفكير في الإقدام عليه، وهذه الحساسية تظهر بشكل واضح في إحجامه عن الأمر بالقتل حتى مع توفر دواعيه، وذلك تربية لأصحابه بعدم اللجوء لهذا الإجراء حال التمكن إلا في حالات الضرورة القصوى، وبعض التجارب العملية من النبي ﷺ تقفل الباب حتى مع وجود مبررات الإقدام على قتل بعض المجرمين، وهذه التجارب لها الأثر في جيش النبوة على حسم فكرة الإقدام على القتل أو التسرع فيه، وتفتح المجال واسعًا أمام الذرائع المعززة لحقن الدماء، ومن الأمثلة الدالة على هذا الإجراء كثيرة.

ولعل موقف النبي ﷺ مع رأس الفكر الخوارجي ذي الخويصرة يوضح لنا رحمة النبي ﷺ، وحرصه الشديد على تربية أصحابه على حقن الدماء، وعدم التسرع في القتل، فعن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا

(١) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، محمد أحمد المبيض، بحث فائز بالجائزة العالمية للسيرة النبوية في رابطة العالم الإسلامي، ص١-٣.

نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ! فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ: دَعْهُ»[1].

وفي رواية أخرى «فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ! قَالَ: لَا قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَامَ إِلَيْهِ خَالِدٌ سَيْفُ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ قَالَ: لَا»[2]

اتهم ذو الخويصرة النبي ﷺ بالظلم في توزيع الغنائم، وهذا الاتهام في حق رسول الله يعد من أعظم الجرائم، وهذا ما أثار الصحابة ﷺ عليه، ولم يجدوا كفارة لهذه الجريمة إلا بضرب عنقه، وهكذا تسارع كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ﷺ بالاستعداد لضرب عنقه وطلب الإذن بذلك من رسول الله ، لكن النبي الأعظم منعهما من ذلك بالرغم من فداحة جرم هذا الرجل، وعلى الرغم من معرفة النبي ﷺ لحقيقة هذا الرجل حيث إنه سيكون أصل الخوارج في مستقبل الأمة الإسلامية، إلا أنه لم يعزز فكرة التسرع في القتل عند الأصحاب، بل نجده يبحث عن ذرائع وشبه تحول دون الإقدام على قتله أو الإساءة إليه.

ومنها موقف النبي ﷺ من رأس النفاق ابن أبي ابن سلول، عندما أراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يسفك دمه، فعن جابر بن عبدالله ﷺ، قال: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام(٣٦١٠)، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم،باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه (٦٩٣٣، صحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم،(١٠٦٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم(١٠٦٤).

الأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[1]

وهنا يظهر الهدي النبوي الرحيم في تعويد أصحابه على عدم التسرع في القتل وسفك الدماء، بل يعودهم الصبر والتأني، ووضع أهداف الرسالة وأخلاقياتها نصب أعينهم في كل موقف، فعلى الرغم من فداحة الجريمة، إلا أن النبي ﷺ قد أقفل باب تصفيته في وجه المتسرعين على الإقدام عليه، ودواعي الانتقام قوية في حق هذا الرجل، وأولى الناس بالانتقام منه هو رسول الله ﷺ وليس عمر رضي الله عنه، لكنها أخلاق محمد ﷺ الداعية للفكر الإسلامي الرحيم وتغليبه على كل النزوات والشهوات.

نلحظ من الموقف السابق أن النبي ﷺ قد ذكر ذريعة تحول دون قتل عمر رضي الله عنه لابن أبي ابن سلول حتى مع توفر كل دواعي القتل، وفي ذلك تربية للأصحاب على عدم اتخاذ قرار القتل أو التسرع به، أو الحرص على إيقاعه حتى مع توفر دواعيه، وهذه التربية كان لها دور كبير في حقن كثير من الدماء، وبالتالي قصرت فكرة الإقدام على القتل على حالات استثنائية تخضع لمقتضيات الضرورة القصوى، وهذه التربية آتت أكلها في كل معارك المسلمين التي تميزت بقلة القتلى فيها، وعززت من تلك الصورة المثالية التي رسمتها الجيوش الإسلامية في فتوحاتها المتكررة، والتي تميزت بقلة

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون:٨] (٤٩٠٧)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما(٢٥٨٤).

القتلى قياسًا مع حجم تلك الفتوح، يقول المفكر والقانوني المعاصر مارسيل بوازار: «منذ الفتح العربي الإسلامي، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحًا من التسامح مع غير المسلمين، ومع الشعوب المغلوبة في زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعًا ولا عاطفة»[1]

ثانيًا: حقن الدماء عند إعلان الإسلام.

قد يكون قتلُ أحد الأعداء أمرًا حتميًا نتيجة جرائمه السابقة في حق المسلمين، ولكن الأخلاق النبوية الرفيعة كانت تتجه إلى إعطاء هذا العدو فرصة أخيرة إذا أعلن إسلامه، مع أن هذا الإعلان غالبًا ما يكون لتجنب القتل، ولكن رسول الله ﷺ كان يقبل إسلام الشخص مهما كان تاريخه العدائي، وليس في هذا إكراه في الدين، لأن الأصل في الأمور بالنسبة لهؤلاء أن الحكم بقتلهم قد صدر بالفعل، وقبول إسلامهم والعفو عنهم بعد صدور هذا الحكم هو منّة من رسول الله ﷺ عليهم.

ومن أفضل الأمثلة على هذا الأمر ما رأيناه منه ﷺ عندما أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتله لمشرك محارب بعد أن أعلن إسلامه.

فعن جندب بن عبدالله البجلي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا،

(١) الإسلام وإنسانية Humanisme de l'islam، المفكر السويسري مارسال بوازار Marcel Boisard باللغة الفرنسية، ترجمه د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، لبنان ص٥٣.

وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْه، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»[1].

فالرجل الذي في القصة كان قد أوجع في المسلمين، وقتل بالفعل عددًا من الصحابة، وحارب أسامةَ بن زيد رضي الله عنه، ولمّا سقط السيف من يده، وشعر أن أسامة سيقتله قال: لا إله إلا الله! إن أي إنسان في مكان أسامة لعله سيأخذ نفس القرار الذي أخذه أسامة، فكل الظروف توحي أنه من العجيب أن يدخل الإيمان فجأة في قلب المقاتل المشرك عند رؤية السيف، لكن منهج رسول الله ﷺ في حقن الدماء كان ينتهز الفرص -ولو كانت واهية غير مقنعة- ليرحم بها المقاتل ويعفو عنه!.

وفي موقف مشابه أنكر الرسول ﷺ على خالد بن الوليد مثل هذا الأمر؛ فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النبي ﷺ خَالِدَ بن الْوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا[2]، فجعل خالد يقتل منهم وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إلى كل رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حتى إذا كان يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فقلت: والله لا أقتل أَسِيري ولا يَقْتُلُ رجل من أَصْحَابِي أَسِيرَهُ. حتى قَدِمْنَا على النبي ﷺ، فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النبي ﷺ يديه، فقال: «اللهم إني أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» مرتين»[3].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٧).
(٢) صبأ: يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، مأخوذ من قولهم: صبأ ناب البعير: إذا طلع، وصبأت النجوم: إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء، لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية في غريب الحديث(٣/٣).
(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة(٤٠٨٤)، وكتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد(٦٧٦٦).

فلما رجعت السريّة ذكروا ما حصل في هذه السريّة لقائدهم ﷺ فأنكر على خالد فعله ولم يوافقه عليه، وتبرأ من صنيعه أمام الله تعالى[1].

لقد كان هذا تعليمًا للأمة كلها، وتحذيرًا شديدًا من القتل في غير محله، بل هو في الوقت نفسه حرص شديد من النبي ﷺ على تفادي القتل عند أول فرصة تسنح بذلك، مما يؤكد لنا أن القتال في الإسلام إنما هو أمر لا يكون إلا عند الحاجة الماسّة إليه، ومتى وُجِدَت أيّةُ فرصة للخروج من القتال وحفظ الدماء؛ كان الأخذ بها هو منهج الإسلام ومنهج الرسول ﷺ.

ثالثًا: عرض مبدأ الأمان في مقابل حقن الدماء[2]

كثيرًا ما نرى الأقوياء يتسلطون بقوتهم على ضعفاء العالم، فإذا هناك تاريخ عداء قديم، وثأر موروث عبر الأجيال فإن المجازر تصبح متوقعة جدًا عند تمكن قوي من ضعيف!

والذي يُراجع تاريخ مكة مع رسول الله ﷺ يتوقع -بلا ريب- انتقامًا شرسًا من أولئك الذين أوقعوا الظلم بالمسلمين على مدار أكثر من عشرين سنة، لكننا لم نر هذا الانتقام، ولا معشاره! بل رأينا رغبة حقيقية في حقن الدماء حتى قبل إعلان الإسلام! وحتى نطّلع سويًا على صورة جليّة واقعية لهذه الرغبة فلنعد إلى بقية قصة أبي سفيان يوم فتح مكة، لقد قَبِل رسول الله ﷺ إسلام أبي سفيان مع تردده الواضح في إعلان إسلامه، ولكنّه ﷺ لم يكن يفكر في حقن دمِّ أبي سفيان وحده، إنما كان

(١) قال ابن حجر: «وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها؛ لأن قولهم: صبأنا أي: خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام». وقال الخطابي: «يُحتَمَل أن يكون خالد نَقَمَ عليهم العُدُولَ عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأَنَفَة، ولم ينقادوا إلى الدين؛ فقتلهم متأوِّلًا».. وانظر: فتح الباري (٥٧/٨). الخطابي، أبو سليمان، أعلام الحديث (١٧٦٥/٣)

(٢) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص١٧٧وما بعدها.

مشغولاً بحقن دماء شعب مكة بكامله! لذلك عندما قال له العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئًا، لم يتردد في قبول ذلك، بل انتهزها فرصة وجعل الأمان لأهل مكة جميعًا، فقال: نعم، «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»(١).

والمطلع على مجريات الغزوة وطريقة الترتيب والتكتيك العسكري لفتح مكة وفي وصية النبي ﷺ لقادته، كلها توضح حرص النبي ﷺ في حقن دماء أهل مكة(٢).

إننا لا يمكن أن نتصور مدى النُّبل الذي في هذا الموقف إلا أن نضع أنفسنا في ذات الموقف، ولنكن صادقين مع أنفسنا، وليكن العالم صادقًا مع نفسه. هل يفعل ذلك أحد غير رسول الله ﷺ ؟!

أما زال هناك من يدّعِي أن الإسلام دين إرهاب وعنف؟!

رابعًا: قبول فكرة إنهاء الحرب

إنّ الجيوش المنتصرة غالبًا ما ترفضُ أيّ اقتراحات تُشير إلى وقف القتال، أو عَدَم الإسْرَاف في سَفْك الدماء؛ ذلك لأنها تعد تقدمها فرصة سانحة لإجهاض أي محاولة لقيام عدوها من جديد. ومن ثَمّ أصبحَ متعارفًا بين الناس أنّ الضعيف فقط هو الذي يطلب السلامَ، وأنّه ما دَامَ بالجيش قوة فَلابدّ أنْ يُكْمِل المسيرةَ، ولا يُنْظَرُ هُنَا إلى الأرواح التي تُزْهَقُ، ولا إلى الخَرابِ الذي ينتشر، فالهدفُ هو إقْصَاءُ العدوّ تَمامًا، ليس فقط عن ساحة القتال، ولكن عن الحياة بكاملها!

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة(١٧٨٠).
(٢) انظر التفاصيل، دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطاب، وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.، فتح مكة ص ١١٨ وما بعدها.

إنّ رسولَ الله ﷺ كان ينظرُ للحربِ على أنها ضرورة اضطرارية لا يُريدها ولكن دُفع إليها دفعًا، ويَنظر إلى عدوّه الذي يقاتله على أنّه رجلٌ جَهِلَ الإسلامَ فحاربه، ولو عَرَفَهُ لدخل فيه، ولدافع عنه؛ ولذلك نرى رسول الله ﷺ -في حروبه- حريصًا على انتهازِ الفرص لحقن دماء عَدُوّه، ومستعدٌّ لذلك استعدادًا كاملًا، مما أنتج لنا سجلًا حافلًا بالمواقف التي يراها عموم الناس عجيبة، ولو دَرَسُوا الإسلام لَعَرَفُوا أنها ليست إلا بنود هذا الشرع الرحيم[1].

ولم يكن النبي ﷺ من هواة الحرب، بل كان ينأى عنها ما وجد إلى ذلك سبيلًا؛ ولذا كان النبي ﷺ يعرض الإسلام أو الجزية أولًا، فإن أصرّ العدو على القتال، حارب الرسول ﷺ، ولكنه لا يغلق باب المسالمة؛ فإن رغب العدو في الصلح حتى بعدما تظهر بشائر النصر للمسلمين، كان الرسول ﷺ يقبل الصلح، ويُقرّه، من ذلك ما حدث في غزوة خيبر؛ حيث يقول ابن كثير: «فلما أيقنوا بالهلكة، وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعةَ عشرَ يومًا نزل إليه ابن أبي الحقيق؛ فصالحه على حقن دمائهم، ويُسَيِّرُهم، ويُخلّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكِرَاع والحلقة وعلى البَزّ، إلا ما كان على ظهر إنسان، فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئًا، فصالحوه على ذلك»[2].

وفي غزوة بدر الكبرى أراد النبي ﷺ أن يستنفد كل وسائل الصلح والسلام قبل أن يخوض المعركة، فما أُرسل إلا رحمة للعالمين، فأراد أن يبادر بمبادرة للسلام ليرجع الجيشان إلى ديارهما، فتُحقن الدماء، أو ليقيم الحجة على المشركين، فلما نَزَلَ الجيش الوثني أرض بدر أَرْسَلَ

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ ص٢٨٧، ٢٨٨.
(٢) السيرة النبوية، ابن كثير،(٣/٣٧٧)، وانظر: دلائل النبوة، البيهقي (٤/٢٢٦).

رَسُولُ اللّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ إلَى قُرَيْشٍ، وقد كان سفيرهم في الجاهلية، فنصحهم عمر بالرجوع إلى ديارهم حقنًا للدماء. فتلقفها حَكِيمُ بْنُ حِزَام أحد عقلاء المشركين، فقال: قد عَرَضَ نِصْفًا، فَاقْبَلُوهُ، واللّه لا تُنْصَرُونَ عليه بعد ما عرض من النّصْفِ. فقال أبو جهل: واللّه لا نرجع بعد أن أمكننا اللّه منهم[1]. فانظر حرص الرسول على حقن الدماء وحرص أبي جهل على سفك الدماء، وانظر إلى هذه القيمة الحضارية التي يسجلها نبي الرحمة في هذه المعركة: الحوار قبل الصدام[2].

وفي غزوة بني المصطلق، وبرغم انتصار المسلمين، وأسرهم مئة بيتٍ من بني المصطلق، إلا أن الرسول ﷺ حقن دماءهم، ولم يفعل كقادة الجيوش وقتها أو الآن؛ فيقتلهم، ويقضي عليهم، بل زاد الرسول ﷺ على الإبقاء على حياتهم أن أعتق جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، وتزوجها؛ فقال المسلمون: أصهار رسول اللّه ﷺ؛ فأطلقوا سراح جميع من بأيديهم من السبي[3].

(١) المغازي، الواقدي - (١ / ٦٢).
(٢) الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية، محمد مسعد ياقوت، ص٤٠.
(٣) انظر: سنن أبي داود، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة (٣٩٣١)، المسند، الإمام أحمد (٣٨٤/٤٣) رقم (٢٦٣٦٥).

المبحث الثاني
رحمة النبي ﷺ في غير المحاربين (المدنيين)، والمستكرهين على الحرب والبيئة

حين يحارب الإسلام أو يجاهد لغاياته السامية الرفيعة، الطاهرة من أي هدف أو غاية من غايات الدنيا من طلب الرغبة في التسلط والسيطرة، والمبرأة من الطمع في المال والثروة، فحربه أخلاقية وجهاده «إنساني»، لا يقصد فيه إلى التنكيل والتقتيل والتدمير، وما يجوز أن يمس الأبرياء والضعفاء، ولا أن تتجاوز غايتها الأولى من إزالة قوى الشر والظلم، أو إخضاعها لتأمن الإنسانية شرها وليست هناك نية للإبادة أو التشفي أو الاستذلال...[1]

فتميّزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى «بحضارات» العالم الحديثة أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناءٌ لِكَمّ هائلٍ من البشر في مدينة أو دولة أو أحيانًا قارة! لكن حروب رسول اللَّه ﷺ لم تكن على هذه الصورة، ذلك أنه -كما سبق- كان حريصًا على تجنب في القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ ص٢٨٥.

يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا ملك، ويسامح ويرحم إذا غَلَب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقي لا تعرفه -بل لا تفهمه- «الحضارات» الحديثة![1]

فالحرب في نظر الإسلام ليست ثأرًا، ولا حبًا في سمعة، ولا رغبة في مكسب. فهي تأديب وشفقة على الصادّين رحمة الله المبتعدين بأنفسهم عن الخير. ولهذا فلا مُثْلة ولا غدر، ولا قتل للنساء والصبيان، ولا تجويع للأعداء، ولا تدمير، ولا هدم ولا تحطيم ولا إفساد.

فالإسلام لم يترك الحرب دون قيود أو قانون، وإنما وضع لها ضوابط تحدُّ من القتل والتدمير، وجعلها مضبوطة بالأخلاق، ولا تُسَيِّرُهَا الشهوات، كما جعلها ضدّ الطغاة والمعتدين، لا ضدّ الأبرياء والمسالمين، وسأتناول أبرز هذه القيود الأخلاقية فيما يلي:

المطلب الأول
رحمة النبي ﷺ في المدنيين

«إنّ حُسْنَ الخُلُق، ولين الجانب، والرحمة بالضعيف، والتسامح مع الجار والقريب تفعله كل أُمّة في أوقات السّلْم مهما أوغلت في الهمجية، ولكن حُسْن المعاملة في الحرب، ولين الجانب مع الأعداء، والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين، لا تستطيع كل أُمّة أن تفعله، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتّصِفَ به؛ فالعداء يؤجّج نيرانَ الحقد والغضب، ونشوة النصر تُسْكِرُ الفاتحين؛ فتوقعهم في أبشع أنواع التشفّي والانتقام، ذلك هو تاريخ الدول قديمها وحديثها، بل هو تاريخ

(١) المرجع السابق.

الإنسان منذ سفك قابيل دم أخيه هابيل: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

فقد حرم الإسلام قتل المدنيين: كالنساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى والمتعبدين في معابدهم..... قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠] والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين الذين لا يشكلون خطرًا على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام، ووضع بها حدًا للجرائم والأعمال الوحشية التي عرفتها حروب الجاهلية القديمة والحديثة على السواء...»[(١)].

وتقريرًا لذلك التوجيه القرآني فقد كان من أبرز أخلاق النبي في حروبه خُلق الرحمة؛ فلقد كان رسول الله رحيمًا بالطفل الصغير، والشيخ الكبير، والنساء والمرضى والعواجز، والعبّاد المنقطعين للعبادة وغيرهم، وقد ظهر هذا جليًا في وصايا النبي ﷺ، فقد كان يوصي قادة الجند بالتقوى ومراقبة الله؛ ليدفعه إلى الالتزام بأخلاق الحروب، وبالرحمة في معاملة الناس، فعن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[(٢)].

وفي رواية أبي داود: عن أنس بن مالك، أن رسولَ الله ﷺ قال:

(١) الرحمة في القرآن الكريم، محمد عبدالكريم الحايك ص١٠٧، مرجع سابق، وانظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص٩٣٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها (٤٦١٩).

«انطلقُوا باسم الله، وبالله، وعلى ملَّة رسول الله، ولا تقتُلوا شيخًا فانيًا. ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تَغُلُّوا، وضُمُّوا غنائمَكم، وأصلِحُوا ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥][١].

وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل النساء؛ فعن رباح بن ربيع قال قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلمَ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: انْظُرْ عَلاَمَ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا. فَقَالَ: قُلْ لِخَالِدٍ لاَ يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلاَ عَسِيفًا».[٢]

وكان إذا أخطأ المسلمون في حروبهم مع عدُوِّهم، وقتلوا أطفالًا صغارًا، كان ذلك يُغضب رسول الله أشدّ الغضب، ومثال ذلك ما رواه الأسود بن سريع: أنّ رسول الله بعث سريّةً يوم حنين فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذُّرّيّة فلمّا جاءوا قال رسول الله: «ما حملكُمْ على قتْلِ الذُّرّيّة؟» قالوا: يا رسول الله، إنّما كانوا أولاد المشركين. قال: «أوهلْ خيارُكُمْ إلاَّ أوْلادُ الْمُشْرِكين؟! والّذي نفْسُ مُحمّدٍ بيدِهِ ما مِنْ نسمةٍ تُولدُ إلاّ على الْفِطْرةِ حتّى يُعْرِب عنْها لِسانُها»[٣].

والناظر في وصايا النبي ﷺ يدرك تماما كرم أخلاقه، وأنه جاء رحمة للعالمين، فلم يجعل النبي ﷺ المدنيين كالشيوخ والأطفال والنساء هدفا للحرب، بل نهى عن قتلهم وإيذائهم، ونهى عن الغدر والتمثيل بالقتلى والخيانة.

(١) سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في دعاء العدو (٢٦١٤)، السنن الكبرى، البيهقي (١٧٩٣٢)، «التمهيد»، ابن عبدالبر ٢٤/ ٢٣٣ من طريق أبي داود، والحديث إسناده حسن لغيره.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء (٢٦٦٩)، سنن ابن ماجه (٢٨٤٢)، مسند الإمام أحمد (١٧٦٤٧، مستدرك الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي(٢٥٦٥). وقال الألباني: صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (٧٠١)..

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٥٣/٢٤) ح(١٥٦٢٦)، والحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه «(٢٥٦٦)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٤٠٢).

فعن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة، فقال: «سيروا باسم الله وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا»[1].

ومما يؤكد ذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»[2].

وعندما بعث النبي ﷺ عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وبعد أن عممه وسلمه السيف قال له: «اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم»[3].

فما أعظم هذه الوصية وما أكبر أثرها، فهي سبيل لاستمالة القلوب وتأليفها لصالح الإسلام وأهله.

بهذه الوصايا أقبل الناس على اعتناق الإسلام بسلام دون مزيد من إراقة الدماء، وذلك لما اشتمل عليه الإسلام من أمان وتوحيد؛ لأنهم غلّبوا جانب التبشير على التشديد والتنفير، وكان الاعتماد على التبشير أكثر من الإنذار والتهديد، مما حدا بالناس على الإقبال على دين اليسر؛ وذلك لأن الإسلام لا يعرف حقدا ولا ضغينة، ولا يريد شرا بأحد.

(١) مسند الإمام أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره (٤/٢٤٠)، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح (٢٨٥٨)، سنن الدارمي، كتاب السير، باب وصية الإمام في السَّرايا)٢٤٣٩(، السنن الكبرى: النسائي (٥/٢٦٠) رقم (٨٨٣٧).

(٢) مسند الإمام أحمد، وقال: الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره (١/٣٠٠). مسند أبي يعلى، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح(.٥/٥٩)(٢٦٥٠)، الطبراني، المعجم الكبير١١/٢٢٤ (١١٥٦٢)، السنن الكبرى: البيهقي ٩/٩٠ (١٨٦١٨).

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي،(٨٦٢٣)، وانظر: الطبقات، ابن سعد، (٢/٨٩)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (٤/١٧٩).

إذن بهذه الأخلاق انتشر الإسلام وعم الخير في جميع أنحاء هذا الكون، ولكن عندما أقصي الإسلام عن واقع الحياة انتشر الفساد وعمت الفوضى، ثم أصبحنا لقمة سائغة لعدونا، فتكالبت على الإسلام الأمم، وحاربوا المسلمين واحتلوا بلادهم واستخدموا كل أساليب الفتك والقتل والظلم باسم الديمقراطيات الزائفة والحريات المصطنعة.

ولو قارنا بين وصايا النبي ﷺ لقادته وأمرائه، وبين وصايا أمم الكفر لوجدنا مفارقة عجيبة بين هذه وتلك، فالقتال في الإسلام كان من أجل تحقيق العدالة، ووصايا الحرب تلك كانت بمثابة تشريعات للحرب المقدسة التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، والتي توضح بجلاء أي نوع من الحرب كان المسلمون يمارسونها ضد الأعداء باختلاف مشاربهم، وتعدد عداواتهم. لقد كانت بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء – حربا فروسية بمعنى الكلمة،لم يشهد، ولن يشهد التاريخ لها مثيلا –، إن التأكيد في تلك الوصايا بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية في التعامل مع الأعداء لأمر يثير الدهشة حقا.

المطلب الثاني
رحمة النبي ﷺ في المستكرهين على الحرب

كما لا يجوز أن تتعدى الحرب إلى المدنيين الذين لا يشتركون فيها، كذلك لا يجوز قتال بعض الذين يشتركون في الحرب رغمًا عنهم، ولا ينبغي قتال الخدم الذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئًا إلا إذا قاتلوا، أو كان لهم رأي في تدبير الحرب رأي ومكيدة.

في الحروب المعاصرة اليوم يوجد الكثير من الجنود المحاربين

من الرجال أو من النساء يدفعون للقتال على الرغم من أنفسهم، أو يستخدمون كدروع بشرية لمواجهة آلة الحرب العسكرية، وهذا ما نشاهده ونسمعه عن الأنظمة العسكرية التي تدعي التمدن والحضارة والرقي؛ ولكن أين هم من أخلاق النبوة؟!

من أخلاق النبي ﷺ في الحروب أنه كان يعذر أولئك الذين أُكرهوا على القتال، فقد نهى عن قتل من خرج مستكرهًا من المشركين، برغم أن ذلك في ميدان القتال والحرب، والمتعارف عليه بين جميع البشر أن من يقتلك تقاتله، ولكن الرسول ﷺ كان يأخذ بروح القاعدة وليس بنصها؛ لذا فهو قد يأسر المستكره لكي يتجنب مقاتلته ويجنبه القتال أيضًا، ولكن لا يقتله إلا إذا أصر على القتال؛ فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي قال لأصحابه قبيل غزوة بدر: «إِنِّي قَدْ عرفْتُ أنّ رِجالًا مِنْ بنِي هاشِم وغيْرِهِمْ قدْ أُخْرِجُوا كرْهًا، لا حاجة لهُمْ بِقتالِنا، فمنْ لقِي مِنْكُمْ أحدًا مِنْ بنِي هاشِم فلا يقْتُلْهُ، ومنْ لقِي أبا الْبخْتريّ بْن هِشام بْنِ الْحارِثِ بْنِ أسد فلا يقْتُلْهُ، ومنْ لقِي الْعبّاس بْن عبْدِ الْمُطّلِبِ، عمّ رسُولِ اللّهِ فلا يقْتُلْهُ فإِنّهُ إِنّما أُخْرِج مُسْتكْرهًا»[1].

ولم تكن حالات الحرب والقتال لتخرج النبي ﷺ عن أخلاقه السامية، وعن رحمته التي يتحلى بها حال السلم؛ لذا فقد كان يرحم الغلمان وصغار السن الذين لا يملكون أمرهم، ويأتون للحرب ضد المسلمين أو لمعاونة سادتهم، مع أن تلك المساعدة هي من صميم أعمال الحرب، لكنه ﷺ كان يرحم طفولتهم، ويعذرهم لأنهم جيء بهم ولا يملكون أمرهم[2].

ففي غزوة بدر روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ٦٢٨/١، السيرة النبوية، ابن كثير: ٤٣٦/٢.، وانظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص٢٩٠.

(٢) انظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص ١٩١، ١٩٢.

طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه - فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما[2] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ، وسجد سجدتيه، ثم سلم، وقال لهم: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ...».[3] مع أن هذين الغلامين اللذين ضُرِبَا كانا يمدَّان الجيش المعادي بالماء، ومشاركين في أعمال العداء إلا أن النبي ﷺ تركهما بعد حوار معهما عن قريش ولم يقتلهم مع أنها حالة حرب رحمة بطفولتهم أولًا، وثانيًا لأنهما خرجا مكرهين للقتال.

المطلب الثالث
حرص النبي ﷺ على البيئة وعدم الفساد في الأرض

منطلق الإسلام في الحفاظ على البيئة هو منطلق أخلاقي بحت، فالنبي ﷺ علمنا أن المخلوقات الموجودة في البيئة أمم مثلنا تسبح الله، وهو ما يجعل لها حقوقًا في الحفاظ عليها، وعدم إتلافها أو قتلها إلا للمصالح المعتبرة. وقد تبين لنا هذا من الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ

(١) الإبل التي يستقى عليها الماء.
(٢) بالغوا في ضربهم.
(٣) سيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق(٢/١٨٩)، السيرة النبوية، ابن كثير(٢/٣٩٧).

أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ»[1] وهذا المعنى موجود أيضًا في القرآن الكريم في قولة تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨].

جاءت رؤية رسول الله للبيئة تأكيدًا لتلك النظرة القرآنيّة الشاملة للكون، التي تقوم على أن هناك صلةً أساسيّة وارتباطًا متبادَلًا بين الإنسان وعناصر الطبيعة، ونقطة انطلاقها هي الإيمان بأنه إذا أساء الإنسانُ استخدام عنصر من عناصر الطبيعة أو استنزفه استنزافًا، فإن العالم برُمّته سوف يُضَارُّ أضرارًا مباشرة.

ومن ثَمّ وضع رسول الله ﷺ قاعدة عامّة لكل البشر الذين يحْيَوْنَ على ظهر الأرض، وهي عدم إحداث ضرر من أي نوع لهذا الكون، فقال رسول الله: «لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ...»[2].

لا يمكن وصف الحرب الا بأنها الدمار والعبث والفساد في البر والبحر والجو، بغض النظر عن المنتصر فيها، فإن القتل والخراب قد أهلك الحرث والنسل وبالأخص حروب التكنولوجيا الحديثة، بما تحويه من أسلحة بيولوجية وجرثومية، فدمرت الطبيعة بكل ما تحويه، وهذا شأن الحروب.

لم تكن حروب المسلمين حروب تخريبٍ كالحروب المعاصرة، التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان المسلمون يحرصون أشدّ الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم، فكان النبي ﷺ ينهى عن

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق(٣٠١٩).
(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤١) وقال الشيخ الألباني، صحيح لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة(٢٥٠) الموطأ، الإمام مالك، كتاب الأقضية، القضاء في المرفق(٢٧٥٨)، المستدرك، الحاكم (٢ / ٥٧ - ٥٨).

قطع الأشجار وعن عقر النخيل، وكان هذا يظهر في وصاياه لأمرائه على السرايا.

وظهر ذلك جليًا في وصايا أبي بكر الصديق لقادته مقتديًا برسول الله، فعندما أرسل جيوشه إلى فتح الشام، أوصاهم بهذا، فعن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ لَمَّا بَعَثَ أُمَرَاءَ الجنود نَحْوَ الشَّامِ قَالَ لهم: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اغْزُوَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُ دِينَهُ، وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَجْبُنُوا وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، وَلَا تُغْرِقُنَّ نَخْلًا وَلَا تُحَرِّقُنَّهَا وَلَا تَعْقِرُوا بَهِيمَةً وَلَا شَجَرَةً تُثْمِرُ وَلَا تَهْدِمُوا بِيَعَةً... وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا الشُّيُوخَ وَلَا النِّسَاءَ وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ»[1]

إنّ الصدّيق ﷺ يوضّح بهذه الكلمات العذبة السياسةَ الإسلامية في التعامل مع ممتلكات العدو. إننا لا نريد فسادًا في الأرض بأي صورة من الصور، حتى لو كان هذا الفساد في أرض عدونا!.

فقد نهى الإسلام عن الفساد والتخريب، كإحراق المزارع والمحاصيل، وتدمير القرى والمدن ومظاهر الحضارة والمدنية الإنسانية، وللضرورة العسكرية حكم خاص تقدر فيه الضرورة بقدرها وفق منظور الإسلام للحرب وغاياته منها، ومن هذه الضرورات القليلة التي يجوز فيها قطع الأشجار في الحرب، في غزوة بني النضير أمر النبي ﷺ بقطع بعض الأشجار التي كان يختفي خلفها المشركون، فكأنهم تحدثوا أنه ﷺ يخالف ما نهى عنه من قبل، فنزلت الآيات الكريمة في سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر].

فقد كان النبي ﷺ معروفًا بأخلاقه في الحرب، ومنهجه فيها، وحبه

(١) السنن الكبرى، البيهقي ٩/٨٥ ح (١٨١٢٥)،: شرح مشكل الآثار، الطحاوي ٣/١٤٤ رقم(١١١١).

للإصلاح في الأرض، وعدم إفسادها، وكان معلومًا بالحفاظ على البيئة حتى تعجب أعداؤه كيف يقطع الأشجار؛ وما هذا التعجب إلا لمعرفتهم بمنهج النبي صلى في الإصلاح وعدم الإفساد، ولو علموه غير ذلك ما عابوا عليه.

حرم الإسلام الفساد في الأرض، ورفضه بشتّى صوره، فحرم التمثيل بالأموات لأنه مناف لكرامة الإنسان من جانب، وهو صورة من صور الفساد؛ لذلك نهى رسول الله ﷺ عن المُثْلَة، فكان يوصي قادة جيشه بعدم المثله فقال: «اغزوا ولا تغُلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[1].

وفي نهاية هذا المبحث لا بد من المقارنة بين حروب النبي ﷺ والحروب المعاصرة، وبيان أثرهما على المدنيين، وأثرهما في البيئة؛ لنرى أين هي أخلاق الحروب؟ وأين هي المعاهدات الدولية، فكلها حبر على ورق لا قيمة له في الميدان.

«اجتهد عدد من العلماء المعاصرين في إحصاء الخسائر البشرية للمعارك التي حصلت في عهد النبي ﷺ، وحصل تضارب في الأرقام التي وردت عنهم، وكان أعلى هذه الأرقام لا يزيد على ١٠٤٨ شخصًا من الأطراف جميعها، ولعل ثمة اعتبارات كان لها أثر في إحصاء كل باحث، ولكن ثبت أن العدد لا يتجاوز المئات، على أعلى تقدير، خلال ثماني سنوات، في جميع غزواته وسرياه.

بالمقارنة فإن عدد الذين قتلوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية فقط، بكل حسرة وألم ٧٧ مليون شخص، خلال ١٢ عامًا تقريبًا، منهم ٤٤ مليون مدني، يعني أكثر من ثلثي القتلى من المدنيين، ناهيك عن استخدام أسلحة كيميائية دمرت البيئة بشكل رهيب.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (٤٦١٩).

وفي عصر الرحمة في عهد النبي ﷺ قتل قرابة ١٠٠٠ شخص من أتباع النبي وخصومه، لا يكاد يوجد بينهم مدني، في تسع معارك كبيرة، ومواجهات صغيرة، على مدى ٢٣ سنة من مواجهة النبي ﷺ.

وليس خافيًا على أحد أن المشاركين في هذه المجازر كانت الدول التي تعرف آنذاك والآن بالدول المتحضرة الراقية! كبريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان!

أي تحضر هذا؟! وعن أي رقيٍّ يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟!، قارن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ[1].

وقارن بين قوانين الحرب في زمن نبي الرحمة واليوم بما يعرف بالقانون الدولي للحرب، وما هو إلا مجرد نظريات وحبر على ورق، انظر إلى أعداء الإسلام وهم يهدمون المساجد والمدارس ويقتلون المدنيين بلا هوادة في فلسطين والعراق وسوريا..وانظر إلى خوارج العصر الذين يقتلون الناس بلا تفريق بين محارب أو غير محارب وكله باسم الدين.

(١) انظر: أخلاق الحروب في السنة النبوية من ص٢٩٧-٣٠٠، مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ الدكتورة سارة آدم، الدكتور زيد عمر العيص، ص٨٧،٨٨.

المبحث الثالث
رحمة النبي ﷺ في الأسرى(المعتقلين)

في الوقت الذي كانت فيه الحروب الجاهلية لا تعرف أبسط قواعد أخلاقيات الحرب، ظهر النبي ﷺ بمبادئه العسكرية، ليشرع للعالمين تصورًا شاملًا لحقوق الأسرى في الإسلام.

وفي هذا العصر الحديث الذي شرّعت فيه المنظمات الدولية بنودًا نظرية -غير مفعلة وغير مطبقة- لحقوق الأسرى، كاتفاقيات جنيف بشأن أسرى الحرب في معاملة أسرى الحرب ورعايتهم جسديًا ونفسيًا .و نرى رسولنا ﷺ يشرع قبلهم بمئات السنين حقوقًا شاملة وجامعة للأسرى، فوضع القواعد والحقوق التي تضمن حفظ كرامتهم الإنسانية التي كرمها الله ﷻ وأيضا معاملتهم معاملة إنسانية لائقة، كما أن هذه القواعد جاءت لتبين مدى حرص الإسلام على تقييد رغبة الإنسان الجامحة إلى الانتقام من البشر خاصة في ظل هذه المواضع، فالإسلام بذلك سبق جميع النظم الوضعية الحديثة في بيان هذه الحقوق، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ لم يجعل هذه الحقوق بنودًا نظرية بعيدة عن واقع الحروب -كما هو الحال في عصرنا-، بل جعلها منهجًا عمليًا وطبقها بنفسه في غزواته وطبقها قادته في السرايا والمعارك الإسلامية.

للإسلام نظم وقوانين تحمي الأسير، وقد شرع الله الأَسْر فقال

تعالى في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد:٤].

ووضع الإسلام تشريعات للأسرى، فقد وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحثُّ على معاملة الأسرى معاملة حسنة تليق به بصفته إنساناً، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال] فإذا كان المولى سبحانه يَعِدُ الأسرى الذين في قلوبهم خيرٌ بالعفو والمغفرة، فإنَّ المسلمين لا يملكون بعد هذا إلا معاملتهم بأقصى درجة ممكنة من الرحمة والإنسانيَّة.

لقد استشار النبي ﷺ وزراءه في أسارى بدر فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه أن يأخذ منهم فدية، فهم بنو العم والعفو عنهم أحسن، ولعل الله أن يهديهم إلى الإسلام. وقال عمر رضي الله عنه: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها!!

فهوي النبي ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر. فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله ﷺ يبكى هو وأبو بكر فقال: يا رسول الله! من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ:»أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء! لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة !» وأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال:٦٧].

وقد تكلم العلماء في أي الرأيين كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت

الغضب، ولتشبيه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولًا ولموافقة الله له آخرًا حيث استقر الأمر على رأيه ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة[1].

وانطلاقًا من هذا فقد حرص النبي ﷺ وأوصى أصحابه بحُسن معاملة الأسرى فقال: «اسْتَوْصُوا بِالأَسْرَى خَيْرًا»،كما نهى عن تعذيب وامتهان الأسرى، وجعل لهم حقوقًا وأمر بتنفيذها.

فأمر النبي بالإحسان إلى الأسرى، ليُدرِكوا عندها أن الإسلام ما جاء إلا رحمة للعالمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولم يأمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى فقط، بل وضع أسسًا في كيفيَّة معاملة الأسرى، وقرَّر لهم واجبات وحقوقًا؛ منها الحقُّ في الطعام، والكسوة، والمعاملة الحسنة، وكُل ذلك له شواهد في سُنَّة النبي ﷺ وحضارة المسلمين ومن حقوقهم:

أولًا: المعاملة الحسنة للأسرى والرفق واللين معهم

أمر الإسلام بحُسن معاملة الأسرى والرفق بهم وعدم إيذائهم، أو التعرُّض لما يجرح كرامتهم، تعدت صور المعاملة الحسنة للأسرى فشملت العفو، أو المعالجة من الأمراض، أو غير ذلك من صور المعاملة الحسنة، مما دفع بعضهم إلى أن يعتنق الإسلام كثُمَامَةَ بن أُثَال، فقد رُوي أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ،

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ ١٠١.

فَخَرَجَ إِلَيْه رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَم، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِر، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ منْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَد، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِر، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَم، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ منْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَد، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِر، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَم، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ منْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْل قَرِيب مِنَ الْمَسْجِد، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِين أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَد أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ»[1].

لقد دفعت هذه المعاملة الحسنة ثُمامة إلى الإسلام دفعًا قويًّا، ولو أنه رأى جفاء في المعاملة أو تعذيبًا ما فكَّر لحظة في أن يدخل في هذا الدين.

من أخلاق الإسلام أيضًا في التعامل مع الأسرى الرفقُ ولين الجانب، حتى يشعروا بالأمن والطمأنينة، وقد كان من أخلاق رسول الله ﷺ أنّه كان يردُّ على استفسارات الأسرى، ولا يسأم أو يَمَلُّ من أسئلتهم، مما يُوحِي بسعة صدره، وعمق رحمة النبي ﷺ التي شملت البشر جميعًا..

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال(٤٣٧٢)صحيح مسلم، واللفظ له،كتاب الجهاد والسير، - باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه (١٧٦٤).

ففي صحيح مسلم بسنده عن عمران بن حصين ﷺ قال: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»[1].

فهذا التردد على الرجل كلما نادى عليه ﷺ -وهو القائد الأول للدولة الإسلامية- ومناداته باسمه ﷺ مجرّدًا يدلّ على مدى الرحمة والإنسانية التي يحملها الرسول ﷺ في قلبه لكل البشر.

وقد بلغ أمر معاملة الأسرى إلى حد العفو عنهم، فيروى أن النبي أعطى أسيرًا لأبي الهيثم بن التيهان وأوصاه به خيرًا فقال له: إن رسول الله أوصاني بك خيرًا، أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُقِيمَ مَعَنَا نُطْعِمْكَ مِمَّا نَأْكُلُ، وَنُلْبِسْكَ مِمَّا نَلْبَسُ وَلَا نُكَلِّفُكَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا تُطِيقُ، وَإِنْ شِئْتَ فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ»[2].

وكما أمر الإسلام بالمعاملة الحسنة للأسرى ونهى عن تعذيبهم والإضرار بهم، ولقد وصل الأمر إلى أبعد من ذلك، فعندما رأى النبي أسرى بني قريظة في الشمس موقوفين في العراء في ظهيرة يوم قائظ، نهى النبي

(١) صحيح مسلم، كتاب النذر، - ٣ - باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد (١٦٤١).
(٢) انظر: المعجم الكبير، الطبراني(١٩/٢٥٤)

ﷺ عن ذلك وقال لأصحابه: «أحسنوا إسارهم، وقيّلوهم، واسقوهم، حتّى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حرّ الشّمس وحرّ السّلاح»[1]، إنها عظمة النبوة التي تحترم آدمية الإنسان، ولو كان يهوديا حكم الله تعالى به القتل، واليوم وفي أقبية سجون من يسمون (بالمسلمين) من المآسي وفنون التعذيب والتجويع والإهانة والسحق ما يشيب من هوله الولدان.

بل إن شريعة الإسلام تَذْهَب إلى ما هو أبعدَ من ذلك، حيث تمنعُ تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدوِّ، ويرفض إهانتهم، ويقرر عدم إهمالهم.. كما لا يجوز تعذيب الأسير، ولا إهانته للحصول على معلومات عسكرية منه..وقد قيل للإمام مالك: أَيُعذَّب الأسير إن رُجِيَ أن يدلَّ على عورة العدوِّ؟ قال: ما سمعت بذلك[2]، وهذا ما أنكره النبي على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش وقعا أسيرين في أحداث بدر، فقال لهم: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ...».[3] مع أن هذين الغلامين اللذين ضُرِبَا كانا يمدَّان الجيش المعادي بالماء.

وتنصُّ اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى على ما يلي: (يجب معاملة الأسرى معاملة إنسانيَّة في جميع الأوقات... وعلى الأخصِّ ضدَّ جميع أعمال العنف أو التهديد، ولهم الحقُّ في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، ويحتفظون بكامل أهليَّتهم المدنيَّة التي كانت لهم عند وقوع الأسر، ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكلِّ الاعتبار الواجب لجنسهنَّ وهذا ما جاء به الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان.

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م(١٣/٥).

(٢) انظر: التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم، أبو عبدالله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية،ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م(٥٤٨/٤)..

(٣) سيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق(١٨٩/٢)، السيرة النبوية، ابن كثير(٣٩٧/٢).

ثانيًا: حق الأسير بالطعام

من الحقوق التي كفلها الإسلام للأسير حقُّ الطعام فلا يجوز تركه بدون طعام وشراب حتى يهلك، فهذا مخالف لشرع الله، وفي السيرة النبويَّة والتاريخ الإسلامي أمثلة ونماذج تدلُّ على ذلك، ولقد أمر الله بذلك فقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الأنسان:٨].

يحثُّ الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعِدُهم بذلك النعيمَ في الآخرة، فإطعام الأسير المشرك قُرْبَة إلى الله

يقول الشيخ سلمان العودة: معنى هذا أنه لم يُطْعِمْه مما فضل من قُوتِه، وإنما يُطْعِمه من طَيِّب طعامه مع حاجته إليه ومحبَّته له[١].

وذكر أنَّ رسول الله: أمر أصحابه يوم بدر أن يُكرموا الأسرى، فكانوا يُقَدِّمونهم على أنفسهم عند الغداء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم غزوة بدر أن يُكرموا الأُسَارى، فكانوا يُقَدِّمُونهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة[٢].

هذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى. قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرًا»[٣]. وكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصُّونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ لِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا. قَالَ فَأَسْتَحْيِي فَأَرُدُّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ ما يَمَسُّهَا.

وهذا أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار[٤]

(١) حقوق الأسرى في الشريعة الإسلامية،محمد كمال صابر السوسي ص٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٨٤..
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ – ٣٠٧
(٤) قبل إسلامه، أيام كان في جيش قريش، وأسره الصحابة في معركة بدر.

-جزاهم الله خيرًا-، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون[1].

فلما كان الحبسُ مانعًا للمحبوس من التصرف في أمر معاشه وكسبه، وَجَبَ على حابسه أن يَقُومَ بِحَقِّه، ولو كان ذلك في حقِّ الحيوان، فما بالك بالإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»، ويكفي أن الله قرن حقَّ الأسير بالمسكين واليتيم، «مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» حثًّا على القيام على إطعامه والإحسان إليه،وقد يكون هذا الإحسان سببًا في هدايته، كما كان الأمر في شأن ثُمَامة.

ثالثًا: حق الأسير بالكسوة والمسكن:

ومن الواجبات التي قرَّرها الإسلام للأسرى الكسوة، ولقد حثَّ الإسلام على كسوة الأسير وتكون كسوة لائقة به تقيه حرَّ الصيف وبردَ الشتاء، والكساء عمومًا أمر واجب لستر العَوْرات، وعدم إشاعة الفاحشة في المجتمع، وأوجب الشرع كسوة الأسير وستر عورته، وقد بوب الإمام «البخاري» بابًا كاملًا أسماه (باب الكسوة للأسارى)، وهذا يدل على أهمِّيَّة هذا الأمر، وقد ثبت عن رسول الله من حديث جابر أنه لما كان يوم بدر أُتِيَ بالأسارى فكساهم، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، «فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ» [2].

(١) انظر: المغازي، الواقدي ١/١١٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى (٣٠٠٨) وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/ ١٤٤

وكان يوفر لهم المأوى والمسكن، حتى يتمّ النظر في شأن الأسرى كان المسلمون يجعلونهم في أحد مكانين: إما المسجد، وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة ﷺ.

وكان المستهدف من إبقاء الأسرى في المسجد أن يَرَوْا أخلاق المسلمين وعبادتهم لعلهم يتأثّرون به، فيدخل الإيمان في قلوبهم، وقد حدث هذا بالفعل مع بعضهم كالصحابي ثمامة بن أثال ﷺ.

وأما إبقاء الأسرى في منازل الصحابة ﷺ فكان هذا إكرامًا كبيرًا من المسلمين لهؤلاء الأسرى؛ فعن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ كان يُؤتَى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أَحْسِنْ إليه»، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فَيُؤْثِرُهُ على نفسه[1].

كان هذا الخُلق الكريم الذي غرسه المعلم الكبير محمد ﷺ في أصحابه وجنده وشعبه، قد أثر في إسراع مجموعة من كبراء الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقب معركة بدر، بُعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصيته ﷺ، وأسلم معه السائب بن عبيد.

وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدثون عن محمد ﷺ ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير[2].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي ٢٩/ ١٥٥، والحديث من مراسيل الحسن البصري.

(٢) انظر: الصلابي، علي محمد: السيرة النبوية، ٢-٤٢.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث أبين أهم النتائج والوصايا:

- الإسلام منهج أخلاقي يدعو إلى الالتزام بالأخلاق والقيم الإسلامية والتحلي بها مع العدو والصديق في السلم والحرب.
- دوافع الحرب في الإسلام الشفقة والرحمة، وإنقاذ الناس من التيه والضلال، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وليس حبًا في الانتقام، ولا رغبة في السيطرة والاستبداد كما يفعل الأعداء وغيرهم اليوم.
- للحرب في الإسلام أخلاقيات لم ترق إلى معشارها دساتير العصر الحديث، والاتفاقيات الدولية؛ فقد تقدم الإسلام بخطى واسعة في هذا المجال ولا يمكن أن يدركه قانون أو يقترب منه تشريع.
- تذكير البشرية التائهة، أن ثمة خلقًا في الأرض يسمى الرحمة، قد يغني في مواطن كثيرة عن الحرب، والكراهية، ولتعلم البشرية أيضًا أن ثمة شخصًا تمثلت الرحمة في سيرته كلها، وكانت السلاح الذي حارب به خصومه، في مواطن عدة، حين حاربوه بالقوة والقسوة، والوسيلة التي جذب فيها كثيرًا من الناس إلى دعوته، ونجح في نشر ثقافة الرحمة بين الناس.

- عدم الاعتداء على المدنيين، الذين التزموا جانب الحياد، ولم يشاركوا بأي أعمال عدوانية، ضد المسلمين من الأطفال والنساء والشيوخ وغيرهم ممن لا طاقة له في القتال، وتسقط حصانتهم إذا شاركوا في القتال أو قاموا بأعمال عدوانية.
- وضع الإسلام ضوابط وقواعد لأسرى الحرب، متفقًا بذلك مع القانون الدولي، الذي يمنع ذلك، ولكن الاختلاف في التطبيق والالتزام.
- لم تكن قوانين الحرب في الإسلام مجرد شعارات تطرح، بل كانت تطبيق عملي للحرب الإنسانية الرحيمة التي قادها النبي ﷺ وأوصى بها الناس من بعده، وبرزت فيها الجوانب المشرقة في تاريخ الإسلام.
- نفي شبهة الإرهاب التي ابتدعها أعداء الإسلام، وشاعت في الأوساط العربية عبر المؤتمرات والفضائيات حيث لا نجد أعظم من شريعة الإسلام في احترام الحياة وحفظ الدماء.

فهرس المراجع والمصادر

١. ابن القيم، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي(٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بدون.
٢. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شرح ابن العثيمين،ط١، دار ابن الهيثم٢٠٠٥م.
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية ١٩٨٤، (١٦٩/١).
٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ):السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت،١٩٨٣م.
٥. ابن هشام، عبدالملك بن أيوب المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م١
٦. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ص ١٩٤
٧. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، (د،ت).
٨. البيهقي: أحمد بن الحسين الخرساني، ت٤٥٨ هـ، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٩. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (٤٠٥هـ)، المستدرك، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٠. الحايك، محمد عبدالكريم، الرحمة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م
١١. خطاب، محمود شيت: دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطاب، وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة.
١٢. الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، دار المكتبي للطباعة والنشر - سوريا.
١٣. السرجاني، راغب حنفي، الرحمة في حياة الرسول ﷺ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.
١٤. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقق: عبدالرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٥. السوسي، محمد كمال صابر، حقوق الأسرى في الشريعة الإسلامية الجامعة الإسلامية، غزوة.
١٦. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
١٧. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ضبطه وصححه وخرج آياته: الشيخ محمد عبدالعزيز الخالدي- منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ط١،٢٠٠٣م.

١٨. الصالحي: محمد بن يوسف الشامي، ت ٩٤٢ هـ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالموجود، علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣م
١٩. الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، دار المتنبي، الأردن، إربد.
٢٠. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية،: ص٤٦، ٤٥..
٢١. عراقي محمود حامد، معالم رحمة النبي ﷺ، ط١
٢٢. العقاد، عباس محمود، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي بيروت.
٢٣. العيص، د. زيد عمر، مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ بحث للدكتورة سارة آدم، حائز على الجائزة الثانية في المسابقة العالمية التعريف بنبي الرحمة ﷺ.
٢٤. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ) تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية - القاهرة -
٢٥. القزويني: ابن ماجه محمد بن يزيد، ت ٢٧٣ هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق وعناية محمد ناصر الدين الألباني، ومشهور آل السلمان، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ.
٢٦. مارسال بوازار، الإسلام وإنسانية الإسلام Humanisme de l'islam، Marcel Boisard باللغة الفرنسية، ترجمه د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، لبنان
٢٧. المالكي محمد بن يوسف بن أبي القاسم، أبو عبدالله المواق (المتوفى: ٨٩٧هـ)، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية،ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

٢٨. المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية، د. إبراهيم البيومي غانم.
٢٩. المبيض، محمد أحمد، أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، بحث فائز بالجائزة العالمية للسيرة النبوية في رابطة العالم الإسلامي.
٣٠. النيسابوري،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ): صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.
٣١. الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ):كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٣٢. ياقوت، محمد مسعد، الأخلاق